﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥﴾ [يوسف: 75]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد الاتّهام يُشْرَع في التّحقّق بالمعاينة، وإعطاءِ الحُكم المحتمَل مسبقًا

لمّا انتقلوا في الآية السّابقة إلى التّحرّي لبيان صِدق أحدِ الفريقين، قُوبِلوا بذِكْر الجزاءِ الدَّالِّ على جِدّيّة الموقفِ، والثّبات على المحاسبة.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

جزاءُ مَن وُجِدَ المَسْرُوقُ في وِعائِهِ الاسترقاقُ، وهو العُرف المتداولُ آنئذٍ

قال لهم إخوةُ يوسفَ: جزاءُ السَّارِقِ عِنْدَنا، أَنَّ مَنْ وُجِدَ المَسْرُوقُ في وِعائِهِ، فالسارق نفسُه هو الجزاءُ، ويَظهَرُ أنَّ ذلك المبدأ كان معروفًا، وهو أنَّ السارق يكون جزاءً للمسروق، بأن يملكَه المسروقُ منه، ويكونَ عبدًا له، ولذا قال ﷺ عنهم: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أي: كهذا الجزاء نجزي الظالمين. وكي يتمّ ذلك يُسَلَّمُ السّارقُ بِرَقَبَتِه لِلمَسْرُوقِ مِنْهُ يَسْتَرِقُّهُ، ويعلُهُ عَبْدًا عِنْدَهُ، ومِثْلُ هذا الجَزاءِ بالاسترقاقِ نَجْزِي السَّارِقينَ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

عود الضّمير في فعل القول:

ردُّ الجوابِ مِن إخوةِ يوسفَ على سؤال الفتيان، إقرارٌ بالحُكم على المُدَان

حكى النّظم الكريم ما قالَه إخوةُ يوسفَ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾، فضمير الفاعلِ في الفعل ﴿قَالُواْ﴾ عائدٌ على إخوة يوسفَ عليه السلام، ومقولُهم ذلك صدرَ منهم لثقتِهم ببراءَتِهم، وإخبارًا منهم بالحُكم الذي سُئِلوا عنه[2].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/182، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 244.

(2) البقاعيّ، نظم الدرر: 10/171.

بيان خبر المبتدأ ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾:

الجزاء واضح بيّن، مَن سرق يُسترقّ

في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ ذكر أئمّة التّفسير أنّ ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأ، واختلفوا في بيان خبره، فيجوز أنْ يكون الخبر محذوفًا، تقديره: بيّنٌ، أو واضحٌ، أو معروفٌ[1]، أو أن يكون الخبر هو الجملة: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾، والمعنى: أنّ الّذي وُجد الصُّواع في رحله، سيكون هو ذاتُه جزاءَ السّرقة، بمعنى: أنّه هو عِوضٌ عن هذه الجريمة[2].

دلالة التّعبير بـ ﴿مَن﴾:

الحكم عامّ يشمل كلَّ مَن تحقّق فيه مضمون الجملة

آثر النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بـ ﴿مَن﴾ التي تحتمِل أن تكون موصولة أو شرطيّة، في قوله جلّ شأنه: ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾[3]، وهي في كِلَا الاحتمالين دَالّة على العموم، فتدلّ على أنّ الحُكم يشمل عمومَ مَن تحقّق فيهم مضمون الجملة، كما أنّ فيها إيماءً إلى أنّ الفاعل لو وُجِدَ بينهم فإنّهم غير مطّلعين على فِعلته؛ إذ جعلوا الخطاب عامًّا.

دلالة بناء الفعل للمفعول:

وُجْدَان الصُّواعِ، يُوجب الحُكم، لا بكونه مِن مُعيّن

بُنِيَ الفعل ﴿وُجِدَ﴾ للمفعول في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾؛ لأنّ العبرة بالوجدان نفسِه[4]، لا بكون الوجدانِ مِن معيّن، فلا فرقَ بين مَن يجدُ ذلك الصُّواع في رَحْل أحدِهم، فَمُجَرَّد الوجدان يُلْزِم تنفيذَ الحُكم وإيقاعَه.

دلالة (الفاء) في صدر الجملة الاسميّة:

وَصْلُ آخرِ الكلام بأوّله بيانٌ لكونه جوابًا عنِ الشّرط

صَدَّر النّظمُ الكريم الجملةَ الاسميّةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ بالفاء الرّابطة؛ لأنّ الجملة واقعةٌ جوابًا عنِ الشّرط

(1) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 7/36.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/30.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/30، وصافي، الجدول في إعراب القرآن: 7/36.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/171.

السّابق[1]، أو جوابًا عن اسم الموصول المضمّن الدّلالة على التّعليق، فيكون الرّبطُ بالفاء للدّلالة على أنّ مضمون الجملة الاسميّة متعلّق بالجملة السّابقة.

فائدة التّعبير بالضّمير (هو):

الإخبار بكون الجاني هو الجزاء، ينصُّ على حصر الجزاء به

عبّر النّظم الكريم عن الجزاء بالجملة الاسميّة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾، وجاء المسنَد إليه ضميرًا للدّلالة على أنّ الجزاء هو، ليس غيرُه[2]، فالجملة "تقرير للحُكم، أي: فأَخْذُ السّارقِ نفسِه، هو جزاؤه لا غير، كقولك: حقّ زيدٍ أن يُكسى ويُطعم ويُنعم عليه، فذلك حقُّه، أي: فهو حقّه؛ لتُقَرِّرَ ما ذَكَرتَهُ من استحقاقه وتَلْزَمَه"[3]، فجيء بالمسنَد إليه ضميرًا منفصلًا؛ للنّصّ على أنّ الجزاء لا يكون إلّا السّارقَ نفسَه.

سرّ تكرار لفظ الجزاء، في السّياق المزجي:

تكرار اللّفظ بعينه دون إضماره، تفخيمٌ لشأنه

كرّر النّظمُ الكريم لفظَ الجزاء بِرَدّ العَجُزِ على الصَّدر في قوله جلّ شأنه: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾، مقيمًا الظّاهرَ مقامَ المضمر؛ إذِ الأصل أن يقول: (فهو هو)، فعدلَ عن ذلك إلى الإظهار، وتكرارِ لفظِ الجزاء، لئلّا يقع توهّمٌ في الكلام بأنّ (هو) المكرّرة ليست براجعة إلى الجزاء، فكَرَّره بلفظه ليبيّن أنّه هو المراد، كما أنّ فيه تفخيمًا لشأن الجزاء؛ فالعرب إذا أرادت تفخيم أمرٍ ما جعلت العائد إليه إعادةَ اللّفظ بعينه[4].

وجه الإشارة بلفظ ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

الإشارة إلى الجزاء الّذي هو مَعْقِدُ التّشبيه

اسم الإشارة في قوله جلّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يُشير إلى الجزاء المُتَصَيَّد مِنَ الفعل ﴿نَجۡزِي﴾، أي: نجزي الظّالمين جزاءً كذلك الجزاءِ، أو: مثلَ ذلك الجزاءِ الشّديدِ نجزي الظّالمين[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/30، وصافي، الجدول في إعراب القرآن: 7/36.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/171.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/491.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 8/395 - 396.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/172.

بلاغة التّشبيه المرسل:

جـزاء السّارقين مُـوافٍ لأغلظ جزاء

التّشبيه في قوله جلّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تشبيهٌ مرسلٌ مجمَلٌ؛ لذِكر أداةِ التّشبيهِ وحَذْفِ وَجْهِ الشَّبَه[1]، أي: "مثلَ ذلك الجزاءِ الكاملِ نجزي الظّالمين لغيرهم مِنَ النّاس بسرقة أمتعتِهم"[2]، والغرضُ مِن ذلك تأكيدُ الحُكم السّابق، وإظهارُ قُبْحِ السّرقة، وحُذِفَ وجهُ الشّبهِ مِنَ التّشبيه المرسل تفخيمًا لشأنه، بجعله مُبهمًا ليتحمّلَ كلَّ صفاتِ التّشنيع، مبالغةً في فداحة الجزاء.

نُكْتَةُ التّعبير عن الجزاء بالمضارع:

سنّةُ النّاسِ في الـجـزاء دائـمـةٌ بالجزاء المذكور

آثر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للدّلالة على أنّه جزاء دائمٌ مستمرٌّ، فهو سنّة من سُنَن الشّعوبِ، ماضيةٌ في النّاس، كما أنّ فيه استجلابًا للصّورة، وتصويرًا وتحريكًا للمشهد.

سرّ التّعبير باسم الفاعل المجموع: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

جـزاءُ الظّـلـم لا يـقـع إلّا بـمَـنِ اتّـصـف بالظّلم على وجه الثّبوت

عبّر النّظمُ الكريم باسم الفاعل في صيغة الجمع في قوله جلّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ للدّلالة على أنّ هذا الجزاء ثابتٌ لكلّ ظالم، فلا يختصّ بأحدٍ منهم دونَ آخر، وفيه إشعار بأنّ مَن قام بالسّرقة المذكورة قد دخل ضمن الظّالمين، والوصفُ بالاسم يدلُّ على ثُبوت هذا الوصفِ، فالجزاءُ لا يقع بأحدٍ ما إلّا بثبوت هذا الوصف وتحقّقه فيه.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الرّحل والمتاع والوعاء:

الـرّحـل مـتـاعٌ خاصٌّ بالرِّحلة، والـوعـاء ما يُحفَظ فيه المتاعُ

الرَّحْلُ: ما يُوضَع على البعير للرّكوب، وجمعه رِحَالٌ، وأَرْحَلْتُ البعيرَ: وضعتُ عليه الرّحلَ[3] والمتاعُ: ما يَسْتَمْتِعُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي

(1) عفيف، الشّامل في بلاغة القران: 2/91.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/51.
(3) الرّاغب، المفردات: (رحل).

حَوَائِجِهِ[1] والوِعاءُ: واحد الأوعِيَةِ يقال: أَوْعَيْتُ الزَّادَ والمتاعَ، إذا جَعَلْتُه في الوِعاءِ[2] والإِيعَاءُ: حِفْظُ الأمتعةِ في الوِعَاءِ[3] فالمتاعُ لفظٌ عامٌّ فيما يُتَمَتّع به مِنَ الأشياء في الرّحلة والإقامة والوعاءُ: هو الظّرفُ الذي تُوضَع فيه الأمتعةُ، وتُحفظ فيه، والرَّحل: المتاع الموضوع للرّحلة؛ لأنّه يوضع على الرّاحلة، فهو متاع خاصّ، ومن هنا اختير في الآية ليناسبَ اختصاصَه برِحْلَة إخوةِ يوسفَ طلبًا للمَؤُونة.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (متع).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (وعى).
(3) الرّاغب، المفردات: (وعى).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»